(ص١٧٧).

ماذا عن المستقبل؟

هذا التساؤل يطرحه المؤلف في سياق هذا الفصل، مشيراً إلى القضية الفلسطينية ومستعرضاً تقرير الكونت برنادوت بتاريخ ١٩٤٨/٦/٢٧، الذي أوصى بضرورة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أوطانهم واستعادة ممتلكاتهم. وفي تقرير آخر لـ برنادوت قبل مصرعه على يد العصابات الصهيونية المسلحة بيوم واحد، أكّد الكونت، مجدداً، على أن عودة اللاجئين الفلسطينيين تبقى لها الأولوية على كل ما عداها من قضايا. وهنا يعلق الجنرال أُد بول على ذلك بقوله، أن القرار بعودة اللاجئين الفلسطينيين تكرر في كل مناسبة لدى الأمم المتحدة، لكن اسرائيل رفضت باستمرار إعادة السكان العرب إلى ديارهم، بدعوى الأسباب الأمنية (ص١٧٩) وفي الصفحة نفسها، يخوض أُد بول جدلاً ضد ممارسات اسرائيل وتفسيرها لمسألة الأمن، والحلول التي يرتأيها لمشكلة اللاجئين. وقد نوه المؤلف بأن الفلسطينيين أنفسهم رفضوا باستمرار الاستسلام لفكرة التوطين التي تقترحها اسرائيل، كما رفضوا التنازل عن أي من حقوقهم في فلسطين (ص١٨٠ ــ ١٨١). ويتابع الكاتب دحضه لمقولة الأمن الاسرائيلية، قائلاً: «إن حدوداً آمنة لا يمكن بنائها على أساس من الظلم» (ص١٨٦) و«إن العرب لديهم الآن أسبابهم كما الاسرائيليين لأن يهتموا بحاجتهم للأمن أيضاً» (ص١٨٧).

وأما الصفحات المتبقية من الكتاب فقد تضمنت ثلاثة ملحقات، أولها، نص القرار ٢٤٢، وثانيها معاهدات الهدنة بين الدول العربية واسرائيل؛ أما الملحق الثالث فتضمن نص الرسالة التي تلقاها المؤلف من يو ثانت السكرتير العام للأمم المتحدة، آنذاك، وذلك بمناسبة إنتهاء مهمة الجنرال بول في المنطقة.

ملاحظات عامة:

بالاجمال أعطى الكتاب أعلاه صورة شاملة لمجمل تفاصيل مهمة المراقبين الدوليين في المنطقة إبان الفترة المطروحة في الكتاب، وهو إلى حد كبير أوصل للقارىء جانباً خفياً من معاناة الهيئات الدولية كأفراد ومؤسسات في هذا المجال. لكن الأهم من ذلك أيضاً أن الكتاب يلفت النظر إلى جانبين من الرؤية الغربية للصراع في الشرق الأوسط، وعموماً في العالم «غير الغربي»، إن صح التعبير: فالمعالجة واحدة من اثنتين، إما معادية بالمطلق ومن وجهة نظر الانحياز الكامل لاسرائيل والغرب وإما من وجهة نظر موضوعية تحاول بإخلاص التعرف على مكونات الصراع وحقائقه، كمحاولة المؤلف في هذا الكتاب. لكن برؤية ميكانيكية «مقتربة» على الأغلب عن ديناميات هذا الصراع وبؤاعثه الأساسية؛ فوجود دولة يهودية صهيونية العقيدة وعنصرية الممارسة وعدوانية التوجه كما بينت التطورات بإستمرار، يبقى هو العقبة الأساسية أمام أي حل. وفي ضوء هذه الحقيقة فإن طرح المؤلف على أساس أن حل مشكلة اللاجئين قد يزيح معيقاً أساسياً (ص١٨١) للتفاهم في المنطقة؛ يبقى في عداد الامنيات المستحيلة ما دام الحل لا يتناول جذر المشكلة.

س.ع.